خاتمة

ينظر الاسلام الى المال على أن له وظيفة اجتماعية هى النفع للجميع — من يملك ومن لا يملك — طالما أن المال لله على الحقيقة والله للجميع وان وقع المال فى استخلاف بعض الناس دون بعضهم الآخر .

يقول الله تعالى : « **والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق ، فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء ، أفبنعمة الله يجحدون** »(١) .

واذا كانت منفعة المال لمن يملك ومن لا يملك على السواء فالمالك كالعامل سواء بسواء . كلاهما له مصلحة فى المال وكلاهما له مصلحة فى العمل فيه .

فالمالك ان بدت له مصلحة فى العمل فى ماله ، فالعامل له أيضا مصلحة حقيقية كذلك فى مال المالك عدا أنه يؤجر على عمله فيه وهى مصلحة المشاركة فى منفعته العامة .. فهو على فرض أنه سيعجز عن العمل يوما ما فمصلحة المشاركة فى منفعته باقية له ، يأخذ منه ليعوض عن عجزه وعدم صلاحيته للعمل ..

وعمارة الكون اذن تقوم على المالك والعامل معا .. المالك يحرس ماله ويباشر تنميته والعامل يعمل فيه ويؤجر على عمله . ولا تتم هذه العمارة بسيادة الملاك وحدهم عن طريق المال ولا بملكية الدولة مع قطعان العمال التى تسوقهم الى العمل سوقا .

فكون الانسان مستخلف فى مال الله معناه أن الله قد حرم عليه الطغيان عن طريق ملكية المال لأن المستخلف مطالب بالسير فى طريق تحقيق العدالة الاجتماعية طبقا لأوامر الاسلام وأولها تحقيق المنفعة العامة للمال للمالك ولغير المالك على السواء « **فهم فيه سواء** » ..

---

(١) النحل : ٧١

فضلا على فريضة الزكاة التى تصهر هذا المـــال ثم الابتعاد عن انفاق المـــال فى عبث أو فســـاد أو جمعه عن طريق الاستغلال طريق الحرام •

« وهكذا هناك ثلاثة نظم فى ملكية المـــال وانمائه وانفاقه •• وبالتالى هناك ثلاثة أنواع من المجتمعات :

أولا : الملكية الفردية للمـــال والحرية فى انمائه وانفاقه •• ومجتمع هذا النظام هو المجتمع الرأسمالى أو مجتمع الملاك •

ثانيا : ملكية الدولة للمـــال • وممارسة الدولة السيادة على الأفراد فى تحديد العمل والأجور ومجتمع هذا النظام هو مجتمع العمال بدون مالكين للمـــال •

ثالثا : الملكية الفردية للمـــال والالتزام فى انفاقه وانمائه بحدود الاستخلاف فيه • وهذه الحدود تحول دون الطغيان به ، ومجتمع هذا النظام هو مجتمع الملاك والعمال معا أو المجتمع الاسلامى •

وهكذا دخول الاستخلاف فى الملكية الفردية للمـــال هو الفيصل فى تمييز المجتمع الاســـلامى عن المجتمعين الآخرين •• الرأســـمالى والعمالى •• لأنه على أساس من الاستخلاف فى المـــال لا توصل الملكية الفرديـــة الى الصراع الطبقى •• وبالتالى الى التحول الى المجتمع العمالى •• فالاستخلاف كتفويض من الله تعالى يضع المـــالك للمـــال أمام مجموعة من القيود أو المبادىء لا يحيد عنها •• يضعه :

١ ــ أمام المنفعة العامة للمـــال ، فيشرك أصحاب الحاجة معه •

٢ ــ وأمام عدم الاستغلال لصاحب الحاجة عند التنمية ، فيمتنع عن الربا ، وأكل أموال الناس الضعفاء •

٣ ــ وأمام عدم العبث والتقيد فى الانفاق على الذات أو على الآخرين ممن يجب الانفاق عليهم •

وبهذه القيود والمبادىء لا تكون الملكية الشخصية طريقا الى الطغيان بالمـــال والتدخل فى شئون الحكم وتوجيه سياسة المجتمع • بل تبقى طريق المباشرة النشطة للمـــال •

وبهذه القيود أو المبادىء كذلك لا تكون الملكية الشخصية منفذا

الى تكديس الثروة ، ولا الى الشح فى انفاقها • فمانع الزكاة مرتد ويقاتل على ردته • وتقسيم الارث ضرورة اجتماعية واقتصادية »(١)

وبهذه القيود أو المبادىء كما تكون للمال حرمة عدم الاعتداء عليه باتلافه أو تخريبه أو الامتناع عن العمل فى انمائه •• تكون للعامل الحقوق التى قررها الاسلام والتى آفضنا القول عنها فيما سلف من أبواب هذا الكتاب وهى فى ايجاز :

١ ــ كفاية الأجـــر وحده الأدنى ضرورات الحياة من مأكل وملبس ومسكن •

٢ ــ قداسة هذا الأجر حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بدفعه قبل أن يجف عرق العامل •

٣ ــ كفالة أسرته بعد وفاته أو فى حالة عجزه •

٤ ــ ايجاد فرص العمل له عند تعطله •

٥ ــ عدم جواز تشغيله فى عمل محرم •

كما فرض الاسلام على العامل واجبات أهمها :

١ ــ الأمانة •• فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من غشنا فليس منا » •

٢ ــ اتقان العمل « اذا عمل أحدكم عملا أحب الله أن يتقنه » كما أمر الرسول عليه السلام •

٣ ــ أن يكون الله غايته • فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب الشىء لا يحبه الا لله » •

والاسلام قبل ذلك دعوة حارة للعمـــل والجد فى اعمار الأرض واستخراج خيراتها واكتشاف المخبوء منها بعـــد الفكر والتأمل فى ملكوت الله وآياته •

يقول تعالى : « **هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا** »(٢) •

ويقول : « **هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه** »(٣) •

---

(١) من بحث للدكتور محمد البهى بعدد رجب ١٣٩٦ من مجلة الاعتصام القاهرية •

(٢) البقرة : ٢٩ (٣) الملك : ١٥

ويقول : « **وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله** »(١) .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبى الله داوود كان يأكل من عمل يده » .

ويرفع العمل الى مرتبة الفريضة فى قوله : « طلب كسب الحلال فريضة بعد الفريضة » .

انها دعوة للانطلاق الى العمل فى كل الآفاق والى الاجادة والى الجد والى أمانة الخلافة التى فرضها الله على الانسان .

انها دعوة ليستفيد الانسان من كل طاقاته وأن يحرص على خدمة نفسه وأهله ووطنه والانسانية كلها ... والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز » .

ولهذا كان على المسلم اذا ضاق به العيش فى مكان أن يهاجر منه الى مكان آخر واذا أخفق فى نوع من العمل أن يجرب نوعا آخر .

يقول المولى عز وجل : « **ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة** »(٢) .

ولا يرضى الاسلام للمسلم أن يعيش ذليلا فيقول مولاه :

« **ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم ، وساءت مصيرا** »(٣) .

فلو أن العالم الاسلامى — بموارده غير المحدودة — أجرى حكم الاسلام فى أمواله لما وجد فى المسلمين متعطل واحد أو فقير .

« **ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم** »(٤) .

ولو أننا عدنا أمة واحدة كما أرادها الله وكما ضرب لنا عمر بن الخطاب المثل الأعلى للأمة الواحدة عام الرمادة العام الذى نزلت فيه المجاعة

---

(١) النحل : ١٤ (٢) النساء : ١٠٠
(٣) النساء : ٩٧ (٤) المائدة : ٦٦

بجزيرة العرب فتضافرت الأمة الاسلامية كلها فى مصر والشام والعراق لدفع أخطارها وكانت قوافل عمرو بن العاص بالغذاء أولها بالمدينة وآخرها بالفسطاط فى مصر .

ولو لم يطغ غنى بما يملك ليذل فقير بفقره .. لسعد كل أخ بأخيه ولما وجد بيننا مكان لتلك الأبواق الناعقة التى تروج لكل مذهب دخيل وعجيب حتى يجرؤ بعضها على رمى الاسلام بأنه رجعية أو دعوة الى تخدير الشعوب .

كيف يرمى الاسلام بهذه الفرية وهو الذى جعل من القلة المسلمة جمهرة ضخمة قوية سادت الدنيا .. ؟

انها دعوة لا يستعلن بها الا ممسوخ العقل ممسوخ الآدمية ..

« وعهدنا بالمنوم يستولى على الجموع القوية المخوفة ، فلا يزال يلعب بها لعبه ويبذر فيها بذوره ويسقى شعلها بالماء لا بالنفط حتى يصير الجمر المتقد رمادا لا وميض فيه ولا خوف منه ، أما أن يستولى على المتفرقين فيجمعهم والضعفاء الهامدين فيجعل منهم الشهب المحرقة والسيول المتدفقة والقوة الخارقة التى تنتصر بالرعب على مسيرة شهر ، ثم يقال انه نومهم لأهل الظلم والبغى فهى ضلالة لا تجد من يعلنها الا فى هذا القطيع الشائه الممسوخ .

وما ذا كذلك فى تخدير رسول الله للجماعات ؟ .

انه نوم الفقراء لأهل الغنى والمال ويكفيك على هذا برهانا أن قد شرع لهم حقوقا مقدسة فى أموال هؤلاء الأغنياء ثم وكل الى السيف أن ينتقذها من رقابهم كلما جحدوها ... ونوم الفقراء لأنه انتقل بهم من الفقر المدقع الى القصور الشامخة والثراء الواسع على ما تثبته حقائق التاريخ .

والآن هل هى معجزة غيرت حال هؤلاء غير الحال ؟ أو هو سحر أظهرهم للناس فى صور الملوك والأقيال ؟ أو هى المصادفة التى تواتى صاحبها برمية من غير رام ؟ .

لم تكن معجزة ولم يكن سحرا ولم تكن مصادفة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقائد الذى يقود الشعوب على غير ما رسم

الله من سنن الوجود .. وسنن الوجود مقدمات ونتائج ، وأسباب ومسببات ، وسبل تفضى الى عواقب لا محالة .. وقد رسم له ربه فيما رسم « **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا** »(١) .. فماله لا ينهض الى هذه الخلافة ؟ وماله لا يعلم أصحابه أن يؤدوا مراسيم هذه السيادة ؟ والدرس كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى ميزان الحقيقة : الايمان .. والعمل !

الايمان بالمثل الفاضلة والمعانى الروحية الكريمة .. أو الايمان بالله واليوم الآخر .

ثم العمل الذى يستمد روحه من هذه المثل ... فاذا اجتمع هذا الايمان الى العمل الطيب المثمر كانت النتيجة التى لابد منها .. النتيجة التى يرجوها ويحبها كل رجل نبيل فاضل وكل أمة نبيلة فاضلة ، خلافة فى الأرض ... وتمكين لما تعتنق من مبادىء الحق .

أما الايمان وحده فهو من أمانى العاجزين ولا نصيب لصاحبه الا الحرمان والهوان ..

وأما العمل وحده فهو سبيل الجحيم وسنة الشياطين .. وما نظن جيلا من الأجيال عمل ما عملت أوروبا ولكن ما نظن جيلا من الأجيال كذلك محق الله البركة من عمله وأذاقه الوبل بما صنعت يداه كما عهدنا بأوروبا « **ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم** »(٢) .. فلابد للايمان من عمل ، ولابد للعمل من ايمان ، وهذا ما جاء به الدين وطبقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا القلة كثرة ، واذا الضيق سعة وبسطة واذا الضعف المهين قوة ومنعة وتلك سنة الله ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

أيها الناس .. لقد أمر الدين بالعمل وها أنتم هؤلاء ترونه يسمو بآمال أصحابه ، فلا يرضى لأحدهم أن تكون همته رغيفا يأكله ، أو لباسا يستره ، أو درهما يكنزه .. بل هيمنة على أرض الله ، وخلافة

---

(١) النور : ٥٥ (٢) الرعد : ٣١

كريمة على ما فيها من كنوز وأموال وقياما على شعوبها بمبادىء العدل والخير والسلم .. وليس وراء ذلك أمل لآمل »(١) .

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون »(٢) ..

وأضيف حقيقة تثبت بالأرقام .. لو أن زكاة المسلمين أخرجت لاتسعت دائرة الاستهلاك ولارتفع مستوى المعيشة فى العالم الاسلامى ولدارت المصانع فى كل ركن من أركان هذا العالم ولعمرت الأرض ولحق الفقر ولأقمنا ركنا من أركان الاسلام مهدوما فى معظم دول الاسلام مع أن من هدمه مرتد ..

أخيرا .. لابد لنا أن نعود أمة واحدة كما كنا وأن يتم التكامل بيننا وأوله التكامل الاقتصادى الذى يتضمن حرية العمل فى العالم الاسلامى للعامل المسلم وبه سيقوم الترابط وستقوى شعوب الأمة الاسلامية وستصبح قوة عظمى يحسب لها ألف حساب ...

نسأل الله تعالى للأمة الاسلامية سدادا وتوفيقا ..

* * *

(١) الاسلام لا شيوعية ولا رأسمالية للبهى الخولى ص ١٥٧ ، ٦٥٨
(٢) المنافقون : ٨